براعم وظلال

نصوص نثرية

براعم وظلال

تأليف

إنصاف سليمان مرشد

براعم وظلال

تأليف: إنصاف سليمان مرشد

الطبعة الأولى: ٢٠٠٩.

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة.

جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:

دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار ومؤسسة رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا ـ دمشق ـ جرمانا

هاتف: ٥٦٢٧٠٦٠ ١١ ٠٠٩٦٣

فاكس: ٥٦٣٢٨٦٠ ١١ ٠٠٩٦٣

ص. ب: ٢٥٩ جرمانا

إهداء

إلى

روح والدي رحمه الله

سليمان مرشد

وروح والدتي

رحمة الله عليها

وإلى

السيدة الكبيرة والكاتبة

العربية السورية

قمر كيلاني

مدرستي ... ياسمين دمشق

لها من الشكر ....

إنصاف مرشد

مقدمة

لازلت اذكر تلك الفتاة الصغيرة الرقيقة التي كانت تلميذتي في المرحلة الثانوية وهي تتابع بشغف دروس اللغة العربية.. فتقرأ الشعر المقرر بصوت دافئ وحنون كأنها شاعرة. ولازلت اذكر مقعدها في الصف الأمامي من غرفة صغيرة تطل على بقعة جميلة من دمشق حيث التكية السليمانية والأشجار الباسقة ومن ورائهما بردى.

وتنتهي السنة الدراسية بنجاحها.. وتضيع خطوات كل منا في دروب الحياة.. وإذ بي أفاجأ بعد سنين وسنين بأن (إنصاف مرشد) شاعرة، ولها دواوين وكتب مطبوعة، وهي تقدم لي هذه الباقة من الشعر لأقرأها فأجد نفسي مدفوعة لأن أكتب كلمة صغيرة عنها.

وهذه المجموعة لا تفترق في شفافيتها ورقتها والمعاني الإنسانية فيها عن دواوينها السابقة (زهر الصبار) و(سلال الرماد). وها هي تقول عن نفسها في مقدمة الديوان:

هذه أوراقي..

أوتار حزينة أودعها

نفحات من روح صبية

لم تتم السابعة عشر من عمرها..
متوارية خلق قهر موروث
من عادات.. ومجتمع يكره
العذارى..
هذه كلماتي المتواضعة
حبكتها من آلام قلبي
أعبر عن بعض من مشاعر
عانت منها كل فتيات جيلي

فماذا أقول بعد هذا الكلام الذي هو شعر وليس بشعر عما عانته هذه الفتاة الصغيرة منذ السابعة عشر من عمرها وعن رؤيتها للحياة والوجود وعن نظرتها الى بنات جيلها؟

وها أنا أقول: الشعر ما الشعر إن لم يكن أفكاراً ثاقبة تكشف عن أسرار الحياة وألغازها؟ والشعر ما الشعر إن لم يكن عواطف تموج كالبحر في صدر من يقولها فيتمنى أن يرى الناس كلهم هذا البحر؟.. لكنه في النتيجة لا يكشف إلا عن جزء صغير منه.. وها هي إنصاف.. وقد أصبحت امرأة ناضجة.. قطعت شوطها في

الحيـاة بتعقـل وحـذر وواقعيـة دون أن تنسـى ذلـك الكنـز المخـزون في صـدرها مـن الشـعر، وكـأنني بهـا تلجـأ الى اوراقهـا فتنثـر فيهـا نجومـاً مـن الأمـل، أو تحولهـا الى حقـول من الزهـر والشجر تقطف منها ما تريد وتتفيأ بالشـجر التي تريـد.. ثـم ألـيس الشـعر عالمـاً قائمـاً بذاتـه حنونـاً وجمـيلاً وابـيض يضـم اليـه كـل مـن يقـترب منـه وهـو يحمـل موهبـة أصـيلة، وقـدرة علـى التعـبير جميلـة؟.. هـكـذا كـان شـأن إنصـاف فقـد دخلـت في عـالم الشـعر.. ولم تعـد تسـتطيع أن تفارقه لأنه واحتها وملاذها والصدر الـذي تلجـأ اليـه كلمـا توحدت مع نفسها أو أطلت على الدنيا.

وبمـا أن الشـعر العربـي لم يعـد أوزانـاً وقـوافي وبحـوراً شـعرية يتعـب الطـلاب عـادة في اسـتيعابها وإتقانهـا فقـد تحـررت مـع الشـعر الحـديث مشـاعر وأفكـار، وربمـا فلسـفات مـن أجيـال بـدأت منـذ السـتينات وتوغلـت في دروب الحريـة.. هـذه حريـة الشـعر حتـى هـذه الأيـام.. وكـأن ذلـك كلـه أعطـى مفهومـاً جديـداً للشـعر وجعلـه قرينـاً للشـعور بالدرجة الأولى.

وها هي إنصاف تجد مساحة كبيرة من هذا المنظور لتفرغ كل ما في نفسها من آلام وأشجان لتعبر عن كل ذرة من مشاعر ووجدان.

وها هي قصيدتها (باقة الزهر المتناثر) تعبر بصدق أكثر مما يمكن أن اكتب عنها بصدق أيضا وتكفي هذه العبارات:

سأودع آلام قلبي
شواطئ البحر الأزرق
وعند رماله الصفراء
الناعمة أتركها
لعل عينيّ تبصر
وتحدق
سأدع مآقيهم تحيا
بين ظلال قلبي الحزين
وأغنيات المساء
الممزوجة بالدمع
والأسى الممزق..

أما عناوين القصائد الاخرى فهي أيضاً ذات دلالات ورموز تعبر عن هذه الروح الرومانسية الشفافة الحزينة التي تغمر الديوان كأنها العطر أو أنغام السحر: (أصداف وقمر).. (ظل وقمر مطفأ).. (الصفصافة الحانية).. (نحن سراب).. (زهوري الضائعة).. وهكذا بقية العناوين تحمل نفسها مثل السواقي والغدران لتصب كلها في بحر الشعر عند إنصاف، وها هي تقول لا تسأل عن السوسن:

تسألني عن السوسن.. عن أغنية

ابتلعتها عاصفة الشتاء

ولفها الموت..

بأصابعها القاسية

تسألني عن سوسنة أحرقها

صيف هذا الوجود

وبدد عطرها

بين سطور الأماني

وكم كنت أود أن أقف عند كل صدفة من هذه القصائد لأعثر على اللؤلؤة فيها.. لكنني اترك للقارئ أن يفعل ذلك.. وما أنا بناقدة لهذا الديوان.. ولا أنا أعطيه القيمة التي تستحق في نظري لأن الشعر مثل آلات

الموسيقى.. وكل موسيقي أو مبدع يختار الآلة التي يحب ويجيد العزف عليها.. وها هي صاحبة هذا الديوان قد اختارت قيثارتها من نبضها وأيام شبابها وكل ما أحزنها أكثر مما يفرحها في هذا الوجود فكان الديوان نغماً إنسانياً جميلاً يتمنى كل من يقرؤه أن يكون في ليلة مقمرة وطقس ربيعي وأشجار وأطيار بين البراعم والظلال.. لكنه يظل حذراً من هبوب عاصفة ما.. ولو كانت صغيرة من أوراق هذا الديوان.

قمر كيلاني

هذه... أوراقي

أوتار حزينة أودعها

نفحات من روح صبيّة

لم تتم السابعة عشر من

عُمرها...

متوارية خلف قهرٍ موروث

من عادات... ومجتمع يكره

العذارى...

هذه كلماتي المتواضعة

حبكتها من آلام قلبي

أعبر عن بعض من مشاعر

عانت منها كل فتيات

جيلي

إنصاف سليمان مرشد

من عام ـ ١٩٥٩

لغاية عام ـ ١٩٦٤

باقة الزهر المتناثرة

كُتبت /١٩٦٤/

ـ سأودعُ آلام قلبي

شواطئ البحر

الأزرق

وعند رماله الصفراء

الناعمة أتركها

لعل عينيَّ تُبصر

وتحدق

. سأدع مآقيهم تحيا

بين ظلال قلبي

الحزين

وأغنيات المساء

الممزوجة بالدمع

والأسى الممزّق

. وأضيع . . في غابات

الضياء والألم

مودعة باقة

الزهر

المرمية عند حافة الدرب

المنسية

والخمر المعتق

. سأمضي مودعة كل الحياة

وكل اللحظات

التي تشوّه جمال عمري

ههنا لا سعادة

فالحقيقة

المرة

مرمية إلى

ظلمة النهر عند أعمق

العمق

ـ الحقيقة أن الياسمين

كل الياسمين

وعطر الرياحين

وكل النقاء يُرمى

بأيدٍ تشوه روعته

وتوسده تراب

الطرق

ـ الحقيقة مُدماة

رماها الخاطئون

إلى الأسفل

ذبحوها دون رحمة

هُنا لا وجود

للمآقي التي يغفو

بين حناياها

الأفق

ـ فالفجر الرائع يمضي

بكل لآلئه

والبحر الزاخر

بالجمال

تتكسر أمواجه

على الجباه وفي

القلوب

وتختنق

ـ كل حكايا المعرفة والحقيقة

المرة

تحتضن ضياع العمر

وأساطير عشتار

المرتعشة

ـ أما أنا

فسأبقى أحمل باقة

زهرٍ

نسجُها من رحيل

الشفق

- أُقدمها لكل العيون

النادرة

المحملة بثقل الأماني

والتسامي

والحب

والصدق

- أقدمها لكل لحن

هائم ولكل نبضة

وفيَّة لامعة

بنظافة القلب

ترمي العناكب

وغبار أيامها

وتبقى معلقة

بأمانة

الخفق

سنة ١٩٦٤

أصداف... وقمر

عام - ١٩٦٣-

- أيها القمر الساحر

هل أنت تبحث

عن أصداف رائعة

لفها النسيان

وخبأتها زهور

وريح غربيَّة

- أيها القمر على خرائب

القرية الموحشة

تتناثر أحلامي

ويبتلعها القِدَمْ

والغبار

والنظرة الغبيّة

ـ وعلى الشواطئ الزرق

هناك صلاة القمر

الفضية

الخاشعة . . . مثل قلبي

وشال تلك

الصبيّة

ـ إنها باسمة مثلي

ولكن دموع الضياع

تملأ قلبها

وشالها . . . تضمه

الريح

تبعثره

وترسله إلى

وحدة البراري

وغُربتها الشجية

ـ ها هي ترتمي هناك

على الشاطئ

مع أصداء الليل الحالم

لا تعرف تجربة الحياة

فأحلامها ترحل خلف

الشال

المزركش بزهور جوريَّة

ـ أزهار كالياسمين أو ترنيمة

أغنية

نائمة الليل والقمر . . .

مثل الأغاني

الإلهية

ـ تنام الليل لا توقظها

ألحان الصبح

لتعود وتلمس

حقيقة وجودها

وشالها المطرز

كأنها حورية

ـ ترحل باكية

تبحث عن أصدافٍ

أصدافٍ حقيقية

ـ لكنها تعود لترى

أن أيديهم الملوثة

تلطخ كل جمال

على الأرض

وتشعر أن الطين

يغمر كل الطرقات

ـ أجل لقد أدمى

الحُزن قلبها

وخرّب كل

أصدافها

البلورية

. لقد انحنت أمام

عظمة الله

بخشوع تمضي تحمل

روعة الخالق

لتقبل تراب الأرض

الطاهرة

وتعقد من جديد ضفائرها

بِحُرِّيَة

ـ تمضي والألم فوق هامتها

الحلوة ترفضه

وتركض عبر منحدرات

أغاني مسائية

ـ إنها المنبوذة المتحسرة دوماً

الماضية إلى النبع

لتقذف قلبها الدافئ

حيث القاع

والبرودة الأبديَّة

. فلا أسى هناك

ولا دموع

بل خشوع وقمر

مغرق بالضياء

يرصّع أضلعها

بنور الحياة النّقيَّة

سنة ١٩٦٣

ظل وقمر مطفأ

كُتبت عام -١٩٦٣-

- القمر الناعس

يُظلّل كل الجدران

البائسة

بألوان عدة

- وعلى ظلال المآقي

الباكية

وأغنية عذابها

في مجد الطفولة

وفرحها

واحتراق أجسادهم

السمراء

تحت ضياء الشمس

الملتهبة

في حزن القلب وآلامه

تموت الآمال

الكبيرة

وتتكاثف نغمات الروح

متهاوية عند البحر

على الضفة

- أجل . . . إن مغيب

القمر الساكن

ينزرع في أعماقي

وآلام الشتاء

الباردة

فعذاب الموت

وصمته المضنى

وكل أغاني العذاب

تبقى

في روحي

حَيَّة

تنبض خجلى من كل

قذارتهم

من كل روائحهم وأفواههم

المشوَّهة

ـ فلن ألاقي الفرح

الهانئ

ولن ألاقي الزهور

الملونة

الحالمة

وعطرها

الذي أريد

أجل سيبقى

العذاب

توأم روحي

المتألمة

سنة ١٩٦٣

لن ... أحزن

كُتبت عام -١٩٦٣-

ـ بعد اليوم . . . لن أحزن

سأفرح

ما دامت عينيك ترعاني

ما دمت أنت ستمنحني

السعادة

التي أريد

ـ سأفرح . .وأحصد

الظلمة من

أرض روحي

وأعدو إلى الكروم

خلف فراشات

أحلامي

أغني حب الحياة وأنثر

أزهاري

فوق كل البيادر

وعند كل خطوة أمشيها

سأفرح بهذه الريح التي

تعبث بشعري

وثوبي الجديد

وقميصك الصيفي

الملون

. ليتني أرى ذلك اليوم

مرة واحدة

حين تمسك بيدي

وتعطر مكاني

كالياسمين

المبعثر...

عند ضفة الينبوع

الرقراق

وحين تشدني بقوة

رجل إلى رقصة أسبانية

اللفتات

آهٍ . . أحلامي تُناجيك

وتناجيني

لكن البرد قاسٍ

هُنا

ويجعل من الأحلام

سرب. . أطياف

راحل

دائماً

آهٍ.. أيامي ..

لا توارى قرب

مدفأتي وفي زاوية

داري

لأحضن وجه أطيب

ما في الكون

وأحب ما لدي

وجه ... أبي

وقلب أمي فالأمضي إلى حضنها الدافي

١٩٦٣

قبل الرحيل

كُتبت عام - ١٩٦٣ -

- بين الوجوه تتبعثر

نظراتي

تعاتب الجميع بألم

لأنها طيبة . . .

فطعنة الحياة القاسية

أعطتها صفاء

الينبوع

وصقلت روحها بأريج

الطيب

وجراحاتها المدماة بسهام

عيونهم

الحاقدة

أعطتها الكثير من الرقة

إن الجدول القريب رائع

في خريره

ترصّع صفحته

شمس النهار

ـ أما الليل فتذوب بداخله

أغنية الروح التي

تتهادى من بعيد

خلف الريح

وظلال النجوم

المتألقة

والقمر مسكوب

كقرص فضة

يرتسم فوق

الكون

بوداعة

وسكون

. سأدع الأرض التي زرع

فيها قلبي

بالأمس فقط

لكني اليوم سأقتلعه

لن أدعهُ في حديقة

أحد

ـ بعد اليوم سأرميه إلى عمق

البحر إلى جوف صدفة

لؤلؤية . . .

أو إلى عين سمكة

زجاجية

ترمقني بصمت

إلى رمال الصحاري البعيدة

النقية

إلى عُرى البراري

وظُلمتها البربرية

هناك حيث تموت

العيون وتبتعد

خُطانا

ويمضي النسر الجارح

إلى عمق الريح

العتية

يبحث عن قلوبهم

الأنانية

فالطيب لا تلمسه أيديهم

ولا تطلعاتهم

الفردية

وددت لو أعرف متى أجد

القلب الذي

أبحث عنه

والروح العَلّيَة

ومتى أسمع نغم الحكاية

العذبة

التي تضمد جراح

النفس الأبيّة

ومتى تعصف الأماني

السنية

وأي الدروب توصلني

إليها

أأبحر عبر نبض قلبي

أم عبر سحابة فضائية

ـ متى أيها المساء

أبحر إلى أرضٍ مسكونة

بالطهر والنقاء

وأحلام سماوية

إلى أرض تغتسل كل

يومٍ من شوائبها

وعيون الناس

فيها صلاة

ملائكية

متى يا إلهي أرى القلب الكبير

والفكر العميق

واللؤلؤة التي

ترصع جبيني

وتشرق في عمري

كألوان الشمس

وإبداع قوس قزح

مثل الظلال الناعسة

على نوافذ شفافة

خاشعة

متى أيها الرب العظيم

ألاقي القوانين

الإلهية

سنة - ١٩٦٣-

اللسعة

كُتبت عام ١٩٦٤

ـ واحسرتاه مرة أخرى

أعود حاملة

جراحاتي

النازفة

وشمس النهار تُدفئ

الرابية

وترصع النهر بألوان

زاهية

والدروب الترابية

تحتضن خطواتي

المتعثرة

دائماً

وألحان المساء تتهادى

على ضفاف النهر

مرة أخرى

ترمقني عيون

جافة

كأصداف جوفاء

لا معنى لها ولا شتاء

رمادية غير صافية

تبحث ماآقينا فيها

عن الزرقة

والألوان

لكن الضباب يتكاثف

عالياً

فيحجبها ويرسم

خطاه

على الأرض

فتبدو مرتعشة

باردة

إن الجمال المريض

يريد أن يعشعش

في قلبي لكني أرفضه

فمن يستحق قلبي

أرض أحلم بها

غرقت في غياهب

السنين

لا يعرفها أحد

يا إلهي العظيم

هذه الذبائح أنحرها

لأجلك

فأحس أن دمائها

الساخنة

تُحزنُ

خاطري

وتتهادى

قطرات دمها

في داخلي كالطعنة

المؤلمة

يا إلهي ...

فلتبقَ في عمق روحي

قنديلاً

دائم الاشتعال

سنة ١٩٦٤

الصفصافة ... الحانية

كُتبت عام ١٩٦٢
وكان النهر قرب بيتنا
والصفصاف الحاني
على جانبيه...
حلمٌ غافٍ عبر الزمن

ـ كم من المرات

مرت خطواتي

من جانب الصفصافة

الحانية

قرب النهر وعلى الشاطئ

أصدافاً

ولكنها حلوة

أحياناً

. هُناك أسمع حكاية

غريبة

من صدى الريح الذي

يملأ فراغها

هل علّمك النهر

شيئاً من سرّهِ

وماذا بأعماقه

وما هو سر جريانه

إنني أجهل الكثير

من حكاياته مع الزمن

والأيام

ـ فهو أيضاً ينسى وتتلاشى

ذكرياته

وترتمي بعيداً

في أماكن مجهولة

لا يعرفها

ـ سيأتي في يوم تنتهي

كل حكاياه

أجل كما تتلاشى

ذكرياتنا

وأمانينا

وحكايانا

اسأليه ما خلف

الستار

وفي الجانب الآخر

إن ظلال المساء

تدعوني لأن

أنطوي وحدي

في كآبة هذه الدنيا

لأني وحدي

ـ أيتها الصفصافة

أنت لا تعرفين

حكاية عمري

مع هؤلاء

القساة

وآلام روحي

مع الزمن

فعذابي الصامت

أمام عقولهم

الخشنة

المتحجرة

أحسهم جدار تتصلب

عليه كل مشاعري

وأحاسيسي

ورعشة قلبي

الهائمة

أريد الخلاص من عقولهم

ومن تمددهم في عروقي

ـ أود التحرر والهرب

لا أريدهم ملامسة

قلبي وتدنيس

قُدسية . . أعماقي

فقد يفسد

كل ما لديَّ

من نقاء

سنة ١٩٦٢

نحن سراب

سنة ١٩٦٣

- حياتنا عبودية

تلعن الفرح أينما كان

وكيف جاء . . .

ولو لمسنا حقيقة

السراب

الذي نحن فيه

ونسمة الحياة

لعلمنا سُخرية وجودنا

وسخرية حياتنا

وبقاءنا

وسخرية أقدارنا

فالموت هُنا يلازم

مضاجعنا

وأينما . . . كُنا

وقهقهته الفارغة

أصداؤها

كيف رحلنا

لا يريدنا نسيانه

ـ لكن . . الكل ينسى ويمضي

ولا تبقى إلا أغنية

تتهادى على الساحل

الغريب

وتعود عبر الصدى

العميق

لتلامس الوجه الشاحب

وتلف القلب بالصمت

والأحزان

ـ أجل سوف أمضي عبر

البعيد أقذف

قلبي إلى عُمق المحيط

لأني أريد الخلاص

من عبء ما أحمله

من الذين حولي

سأمضي إلى هُناك

حيث الراحة

راحة الموت

نفسه

فقد أجدها

أجل . . أجل في النهاية

العمر يبقى

سراب

ونحن سراب

سنة ١٩٦٣

لحن

كُتبت عام ١٩٦٤

ـ يا ألحان الفجر المتورد

يا أصداف البحر الخزفية

دعيني أعيش

بلا فهم

وأمضي .. دون أسى

لماذا ؟ ! الدموع

تحترق في داخلي

لماذا ؟ !

لا تكرهني الآلام

وأنغام الحزن الكئيبة

وتبتعد عني الخطوات

المزروعة في طين تأباه

نفسي

وأناملي العاجزة

عن لملمة

فتات الفرح

المنثورة . . .

لطيور الحمام الأبيض

الضائعة في البراري

وأمام الشلال الذي يبتلع

الغروب

تُدفن آهات روحي

. سأرمي ريش الطيور

المذهبة

والمزروعة في عيوني

هناك على شواطئ

السكون والأحلام

كل شيء فيَّ يتهاوى

على عتبة الواقع

المرير

على الواقع المكسور

المحطم

أنا أعرف رجفة القلب

عندما يطعنه سهم

قاسٍ

كوجود الشمس وقسوتها

١٩٦٤

حُلم

كتبت عام ١٩٦٤

ـ ها هو كوخي وأزهاري

كلها ملفوفة

بحكايا الحزن

من هؤلاء ...

ـ لو أن اليم يبتلعني حيث التيار

فهناك أصداف قمر لا يغيب

وأصداء لحن صادق صافٍ

وقلب غير مُدمى

ـ ففي الأعماق نقاء وأشنيات

خضراء ومرجان ملون

متشعب بسخاء

وحلم دافئ

يحضنني دوماً

بالهناء

١٩٦٤

أغنية المساء

كتبت عام ١٩٦٣

ـ مهلاً يا أغنيات المساء

العِذاب

مهلاً يا خفقات القلب

وأنشودة الحب

مهلاً أنت أيها المسرع

الخُطى

أوذاهب إليها . . .

إنها لا تدري

لقد كانت بالأمس

تعزف بجانب

بحيرة الوفاء

وتحت ضوء القمر

ودموعها منهمرة

ـ آه . . . لو كنت تدري كم تعذبها

أنت

لو كُنت تدري أنها تعبد اخضرار

الروابي

وبحة الشتاء

وحُمرة الأزهار

وظلال الفراشات

فوق العناقيد

لأن فيها شيئًا . . من ذاتك

ـ أوَراحل . . . ؟

إن الليل يُحدق بك يحزن لأجلها

ألا تسمع أنين قلبها الصغير

تمهل لا تذهب فهي لك

ألا تدري

إنها لك منذ

أن عرف السنونو

الرحلة الأولى

ومنذ أن نطق الإنسان

ومنذ أن عرفت الأمواج

شواطئها ....

ومنذ أن أضار الربيع ألوان الحياة

إنها لك....

فكل ألحانها وأوتار قيثارتها

لأجلك

أيها المساء الراحل دوماً

يكفيها أن روحك تسكن

القمر

وتظلل العالم

بظلال النقاء

والبهجة

إنها اعتادت الآلام

وبناء أقفاص

من ورق ملون

قُرب النهر وضفافه

الزرقاء

المحفوفة بالياسمين

وأشجار العليق

وأشواكها

وألوان الشمس

المبعثرة

عُد إلى خيامك ودع

درب قريتها

فهي راحلة وخطاها ليست

لدروب قريتك

ولن ترضى أن تعود

إليها

لكن . . . إن أعطيتها

قلبك المذهب

وزرعت روحك النقية

في أرضها

فهناك لا حصاد

للنقاء

ـ أيها المساء المتعثر . . . .

الآن . . . سأعود إلى خيامي

لأسمع تراتيل ملائكية

اللحن خاشعة الأوتار

كي أتمايل على أغنيات

تمجد الحب . . .

أينما كان أغنية

لا تنتهي

تبقى في الروح كالصلاة

إلى آخر العمر

أغنية تكتب

اسم الله العظيم

في داخلي

كل لحظة

كتبت عام ١٩٦٣



لا أعرف

عام ١٩٦١

دائماً وحدي

تلفحني الريح

بقسوة

دائماً دروبي قفراء مليئة

بالحكايا

ليس لي فرح ولا بهجة

دائماً أحمل الحزن

وتعب أيامي

وأجر أقدامي

للعودة

دون أمل أو ذكرى

للنسيان للأحلام

للمجهول

فعيونهم لا شيء فيها من الحب

وروحي تواقة للطيب

وجمال الحياة

لنظرة أمي ترنو إلي بهمسة

حنان

تحمل العالم إليّ

بحبها

وتعوضني عن آلام روحي

ويد والدي

الرائعة

المُثلى العظيمة

بكل معاني الإنسانية

التي تلمس شعري

وعينيه التي تحدثني

امضي إلى الأمام

فأنت نجمتي وحلمي

يا ابنتي . . . .

آه . . . لولا هذا الحب

لرحلت

ومضيت بعيداً أقطع أوتاري وأرسي

قاربي

وأتهاوى عبر قهري

من كل ما حولي

من أكاذيبهم . . ومن عيونهم

الجامدة التي ترمقني

دون معنى

دائماً أمضي



وأحسهم من حولي

أشواك توخزني

كيف التفت

يا إلهي لماذا ؟!

أسألك

أنت

لماذا هؤلاء

محملين بأرطال

الكراهية

لا يعرفون المحبة

أيتها الشمس الدافئة

ضميني إلى صدرك

وأنت يا طيور المساء

الراحلة

احمليني بعيداً

مع أمسيات الأغاني

العذبة

والملأى بمعاني

الألم وقداسة

الحب

أيتها السماء النقية

هل دُفنت كل

قيم الإنسانية

في هذا العالم

وارتحلت أغاني الوفاء

إلى غير عودة

أراهم من حولي يتململون

كأفاعي

لذا سأرحل من هنا

وأرمي زهوري . . حتى الرائعة منها

كزهور الرمان

وأتوارى عن طعنات

الناس

فلن أحمل في سلالي

إلا الحب

والأماني

وحلماً أزرعه

أغانٍ

وأغصان

ملونة خافقة

على كل الدروب

وبعد اليوم لن تجرني

عيونهم للألم لن أدع دموعي

على ضفاف النهر

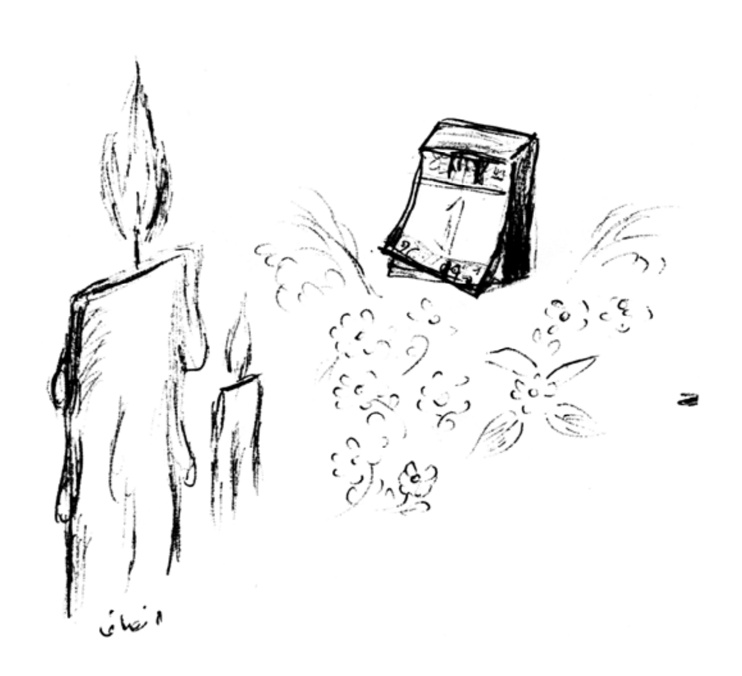


سأمضي إلى فرح فراشاتي الملونة

التي تصلي لله ولربيع

دائم . . .

سنة ١٩٦١



أغنية الحياة

كتبت عام ١٩٦٣

- في داخلي كل شيء يحترق

وقلبي ها أنا أحملُ

رماده

بين يدي

- إن قطرات المطر

تبلل العالم

بأغنية

العذاب

والألم

ـ وحقول الصيف

تجتاحها ريح

الخريف لتميت

الجمال فيها

ـ آهٍ فقد زرعت

قلبي في غابة

الأوهام

إن الشمس أحرقته

وأماتت كل ما فيه

رغم قسوة المذبح

لكني أودعت

خرافي هناك

من أجل الآلهة

علّي . . . لا أطعن . . .

ولكن داخلي

يطعن بقسوة ولم

أعد أطيق عذاباتي

منهم . . .

ومن عقولهم . . . ومفاهيمهم

أختنق أحياناً

فحضارتهم الملوثة

وألحانها المليئة

بالعذاب

والكؤوس

الرماد . . .

وسلالي الفارغة

ـ والريح

ـ لن أدع رماد قلبي

يتطاير

سيبقى هنا نبتة

طيبة دافقة

لا أمل للدموع

لأنه لا حيلة

لي

في إطفاء . . . أَنَّة

القلب الجريح

ـ هيا احتسي الخمر

احتسيه

ودع السجائر تحترق

دع يدكَ

تتلوث

دع نُبلك يذوب

في طيات

الخطيئة

ـ مَرّغ نفسك بألحان

لاهثة

خلف الفراغ

ممزوجة بالبقايا

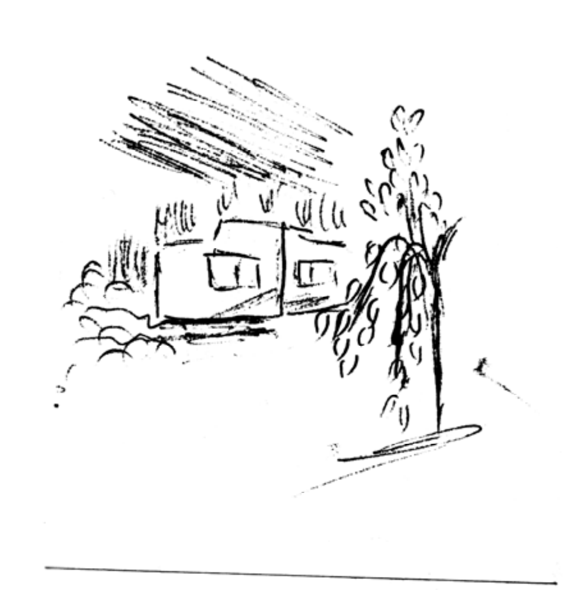
وأقذار الرواد

في حانة بعيدة

ـ أجل

ظلالك تتوارى

تحت أضواء



المدينة

القائمة

ـ ودخان سجائرك

لا زال

يتهاوى

على الأرصفة

الباردة

ـ والليل يعاتب كل الخطوات

البائسة

ـ أما أنا

فأعود إلى الضيعة

المغمسة بالليل

وأنعطف عبر

دروبها

فالأبواب جميعها

موصدة

على كل الحكايا

ومصابيح الأزقة

ترتجف تود أن تطفأ

. قلبي رماد مطفأ

رماد حتى مقلتي

تتجمد حزناً

ـ قد تحترق الأوراق

كل الأوراق

ويموت الضيق

ويحمل رماد القلب

ويُرمى أخيراً

ولكن الأنغام الممزوجة

بالدم لن تُمحى

ولو حتى احترقت

الأجساد

ستبقى أغنية

الدم للحياة

ولن تموت

١٩٦٣



دخان

عام ١٩٦٣

ـ الدخان السام

يتسرب للأعماق

هناك في صدورهم

حيث لا دماء

فيها ولا شفاء

ـ الموت الأرعن

يتراكضْ ويقهقه مثل

شيطان

عبر دخان

الحضارة الممزوجة

بالقطران

والضوضاء

. روائح احتراق بقايا

الناس

والضجيج ذاك

- يُبدد جمال الله

والمرض ينهش

كل زهور

الحياة

وفرحها

ويُذهب السعادة

من كل القلوب

الطيبة

. سجائرهم رخيصة

لكنها تُدمر عمق

النقاء

وتشوه الصدور

كلها أنين

تعاسة

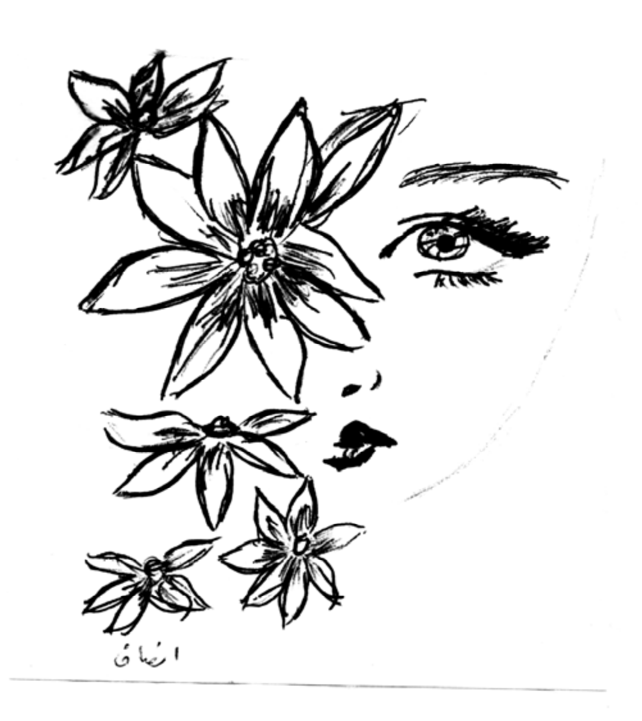
ورغم ذلك

ورغم ذلك

نحن حضارة

نحن . . . تقدم

كتبت عام ١٩٦٣



زهوري الضائعة

كُتبت عام -١٩٦٣-

ـ خذي . . . فموجات البحر

ستأتي إليك

بأزهاري

ـ خذيها . . . ذكرى

أيتها الحبيبة

فقد رميت كل

سلالي

وبعثرت كل

سُمَّاري

ـ اذهبي . . . فقلبي

سيموت

وصورة وجهك

الطاهر

سر من أسراري

ـ وداعاً . . . فالمراكب

تبتعد كثيراً

عبر اليم

ـ سأرمي بجسدي المتهاوي

على حافة المقعد

الخشبي

فهذا قراري

ـ القمر لا زال يرحل

دائماً ويتركني

وحدي

أجل . . .

ـ لا أحد يفهمنا . . . لأنهم

لا يفقهون عمق قلوبنا

وسنبقى ضحية مفاهيمهم

اللا إنسانية

ـ أيتها الحبيبة المثلى

أنت في أعماقي

أنشودة شموع

مقدسة

أنتِ مثلي . . .

من الأحرارِ

. فذكراك في قلبي

ناقوس تدقه

الريح

وحكايا المجهول

القادم مثل

هبوب العاصفة

مثل هجوم التتار

وبحزن يُلهب

شفافه

ويقضم ضلوعه

كالإعصار

- أجل

بائسة أنا ... بين هؤلاء

فالحزن ... يُحطم خاطري وكل

أحلامي

وصفاء ... قلبي هذا

يجعلني أكره

وجودي الغارق بأكاذيبهم

ونفوسهم التي هي شوك بداري

سنة ١٩٦٣

رحلات المساء

كُتبت عام -١٩٦٣-

. أنتِ لا تعرفين

الحب الذي أريده

. إنه شيء لم تتلمس

ناره ولم

تحسيها

فهو بالنسبة

إليك

دموع والآلام

وصدق

وجراح في القلب

وطعنة تمزق

كل الفرح

ـ أنت تُحبين

كالفراشة للياسمين

وحُب العذراء للمسيح

ـ لا زلت صافية . . لا تعرفين

ـ يا حبيبتي . . . ولكن

حُبك ليس حلمي

أهربي

لأنك تستحقين

السعادة والجمال

ولم تُخلقي لظلمة

الطين

ـ دعكِ مني وامضي

نقيّة . . . نظيفة

وتقولين

ـ إنني نبيل . . .

قد أكون ذلك

ولكن . . . لو تعلمين

أنا أعرف ذاتي

ـ أيتها الحبيبة

عندما . . . تعود

رحلات الطيور

ذات يوم

أجل عندما تعود

رحلات الطيور

بمناقيرها

الطويلة

ـ وعندما تتعرى

الشمس

وتغتسل بماء

البحر

الأزرق

ـ وتترامى خلف تلال

المغيب

حيث ترحلين

ـ اذكريني

يومها سأحمل

لك باقة الزهر

التي وعدت

وعقداً مزركشاً

وثوباً ملوناً

أحمله إليك

من ريش الحساسين

وأعطيكِ . . .

مركبي مرة ثانية

كي تُبحري

دون أشرعة

ولا شواطئ

الوداع . . .

يومها . . . صدقيني

أنت

قد لا تصدقين

أني سأبقى

لليل . . . والضياع

وحاناتي الملأى

بالفساد

ـ والقسوة

والضياع

وصدق الأماني

وابتعدي . . .

إلى جزرك

المضيئة

بالسعادة

والطهر

والمروية بالصلاة

وحكايا القديسين

واحملي معك ذكرى

عيوني

وعندما . . . تتكأ ليالي

الشتاء

الباردة

على حافة نافذتك

وعلى عتبة بابك

استمعي

لوقع أقدام تائهة

هاربة

. تبحث عن الشمس ونهار

رائع

واستمعي إلى لهاث

رجل متعب

مار . . .

لا يعرف أي الدروب

تحمله . . . إليك

صغيرتي لماذا

لا تتكلمين



وتصمتين

ـ ودمعك يتساقط

كحبات لؤلؤ

تبعثرين

ـ أجل اصمتي لأنك

مختلفة عن الآخرين

ـ كُنت أحلم مرة

أن تلمس يديَّ شعرك

المنسدل

وأن أضمَّك إليَّ مرة

لكنكِ دائماً عني

تتوارين

- أجل

أنا أعرف أني لا أستحقك

وأن صفاءك

لا يعادله إلا نقاء

الينبوع

- إذن خُذي

المجذاف

وأبحري إلى جزركِ

المروية بأنغام

إلهية

خذيها رغم قسوة

القرار

ورغم أن أناملك

لا تحتمل التجذيف

. لكن ارحلي . . . حيث صلاتك

الملائكية

وعالمك المضيء

بالشمس وبيادر الحصاد

وكل ألوان الفل

والياسمين

. وداعاً . . عندما أفارق



عالمي التعس

وتلوح يدك المرتجفة

تحت ظلال قمر ضائع

وتصلين

من أجلي

وترحلين

إلى بيادر القمح

المذهبة

وحدائق الرياحين

ولكن . . . .

سيبقى الظلام

يلف وشاحات الحرير

المطرزة

والريح ستبعدها

عن جسد

الشمس

الملون

وسيبقى النور

يتوارى

بأسى

وأنين

عام ١٩٦٣

إلى الشمس

ـ شلالات الحرير

المذهبة

الحواشي

والمحبوكة

بأغاني الشمس

ونورها العاري

وعطر التراب

المبلل بقطرات

المطر

الهارب

حيث ترسم بقع

ماء

تحتضنها

صخور البراري

آهٍ يا زهور الشتاء

لا تنغمسي بالوحل

. فالصيف قادم

دون مواربة

وأنتِ يا صغيرتي

الجميلة

فأنتِ . . . من يبحث عن لآلئ

الأعماق

وعن الصُدف الرائعة

اذهبي . . . لا . . .لا . . .

تمسكي بردائي الملوث

فأنا لا ولن

أعرف كُنه أعماقك

المُثلى

اذهبي . . . أيتها النقية

لأن فيك كل ما أحلم به

اذهبي إلى حقول

الشمس

وقصور الثلج

حيث ينابيع البلور

الذائب

وقطع الفضة

المتناثرة

حيث الأيدي النظيفة

التي تنثر

العطر

اذهبي . . .

فنظراتك معلقة

فوق قمم

الجبال

المشرقة بصباحات

ربيع دائم وروعة

نقاء الطبيعة

وألوان القمر

وخشوع نجومه . . أما أنا

فأنا من يتوارى

خلف ذاته

في زوايا الظلمة

والرغبة

ألوك . . . آلامي

وخيبتي المتكررة

كل يوم

ـ لذا أرجوكِ أن تذهبي

يا صغيرتي

السمراء

الحلوة

لأنك نبيلة

ووفية

فحبك الطاهر

لي

مُهتز . . . مرتجف الأعماق

وإحساسك المرتعش دوماً

مثل أجمل الأزهار

ومثل . . رقة الحرير

العاري

من كل زيف

الحبُ عندي

لا تعرفيه أنت

ولم تطأ

خطاكِ . . .

أرضه أبداً

فهو بالنسبة لكِ

صدق

وجرح في القلب

وألم ودموع

وطعنة تمزق الروح

بدل أن يكون

فرحاً متوجاً

هيا . . . وداعاً

حبيبتي الوفية

كتبت عام ١٩٦٤

ريح

كتبت عام ١٩٦٢

- الريح تعبث بالغبار

وتنثره فوق المرايا

لقد كُسرت فخارة

الماء العذب

وتحطمت

لم يعد هناك إلا ذكرى

درب العين النظيفة

ومرح الفراشة الملونة

وأغنية الراعي البعيد

وصوت القيثارة

الرمادية

اللحن

المرتمية

عند أشلاء الغروب

ـ سأرمي قطعة الثلج الباردة

وأعدو إلى بيادر الشمس

أبحث عن صُدف مذهبة

أحفظها بين أناملي

فقلبي لم يعد للفرح

ولا للآلام

لم يُعدْ إلا للنسيان

وسأنسى

حتى الذكريات التي

تتمدد

فوق أشرعة المراكب

الراحلة

وسأمخر بعيداً حيث

رحيل القمر

وخيامه

لتعود الشمس مرة أخرى

لكن الريح

بعثرت كل الأزهار

من حقل الياسمين

. لقد ضاع كل ما تمنيته. . أنا لا أصدق

أن الريح

تمزق كل الأشرعة وتُغرق

كل السفن

نعم لا أصدق

أن الموت يُنهي العالم

. . . . . .

لا إن الذكرى لا تموت

والأثر الطيب يبقى

لن يُمحى من الحياة

لأنه من الحياة

وهو من

صنع الحياة

كتبت عام ١٩٦٢

الأسى

كتبت عام ١٩٦٢

ـ لو أني أتحرر من قيدٍ يسحق عظمي

ويؤلمني

وأرفض هذا الأسى الذي أتجرعه

كل يوم

هذا الأسى الذي يلف

كل خطواتي

يا إلهي . . . مفروضة عليَّ

التعاسة بمجرد ولادتي

هنا

ومطعونة الهنا

لماذا . . . يا إلهي أنا مُسمَّرَة

في هذا المكان

أود الرحيل والبعد

إلى غابات

أعيش وحدي

هناك

حيث الطيور الملونة

وحمائم بيضاء

رائعة

وحيث أعرف ذاتي

وأصلي لك يا الله

لأنك رائع

لأنك جمال

الحياة وروحها

عام ١٩٦٢

سلال الرماد

عام ١٩٦٢

أذكره كيف مضى

وانتهى

كما دخان سيجارته

تهادى

أمام العيون اللامعة

المظللة

بالنبل والنقاء

أحبك يا الله

لأنك أنت فقط

الرائع

أحب الجمال

الذي صنعته

للكل هنا

أحب الروح العالية

وأغنيات الراعي

التي تداعب

سنابل

البراري

أذكره . . .

فالتعاسة تغمر صباي

وتُذبل أحلى الأزهار

وقلوبهم المشوهة

الحاقدة . . تلفني

بالخيبة والأسى

دون نهاية

يا للعار بحثت في عقولهم عن الفهم

وعمق المعاني

ولكنهم لا شيء أرواحهم بائسة

لا تعرف الجمال

ما الفائدة . . .

أحمل لهم في جعبتي

كل معاني الخير والمحبة

لكنهم . . . يمضون في فشلهم وأحقاد

الدنيا تملأ نفوسهم

يا للخيبة فهم أسرى مقيدين

بعمق

عقولهم الخائبة . . . الصدئة

آهٍ يا أيامي . . . فلا زلت

أعدو لأبحث

عن معاني الروح

العالية

وأتعرف عن سبب الأحزان

في الدنيا

ولكن أعود لأحمل سلال

الخيبة

وأنظر لأجد حقيقة

أني أحمل

سلالاً

من الرماد

كتبت عام ١٩٦٢

شيءٌ ... ما

كتبت عام ١٩٦١

ـ سأرمي باقة الورد

إلى بحيرة الألم

دون مبالاة

ـ وأدق باب السماء البعيدة

التي لا تجيب

وأعود لأبني

معبدي

وأبدأ صلاتي

من جديد

أود الرحيل عن هذه الأرض

الملوثة

بالغدر

وعن هؤلاء فهم تحت

رطوبة الوحل

أرفض العيش معهم

رغم كل مل لديّ من أحزان

لكنهم سعداء دائماً

أجل . . فطعنة الأقدار

لا تزال تنزف دماً حاراً

في قلبي

وأغنية الدموع الطويلة

تعزف فوق عيني

إنني لا أعرف الفرح حتى الآن

دائماً . . . أحمل أحزاني

وأعود إلى ضيعتي

حيث الليل

وتزاحم الأضواء الخافتة

المرتجفة في منعطفات

أزقتها الضيقة

كعقولهم

آهٍ يا حظي التعس

لماذا . . . أنا هُنا

سؤال دون جواب

لماذا ؟ ! لا أرى

النهار المشرق

ودفء الشمس

فقلبي سجين . . . هُنا من الأزل

. بين ضلوعٍ محترقة

آهٍ . . يا إلهي

أتمنى الموت

لأبتعد عن

هؤلاء

كتبت عام ١٩٦١

هناك

كتبت عام ١٩٦١

ـ الدمع لن يموت في جفوني

ولهيب العذاب

المزروع في قلبي

لن يحصد الشوك

الذي ينبت من الأزل

في درب حياتي

ومع أن الريح قاسية

فالآلام كبيرة

بين جوانحي

لا زلت في ربيع عمري

لكن بلا زهور

ولا عطر

لا فرح ولا سعادة

سجينة الشؤم

والظلال السوداء

ونظراتهم التي تجرح خاطري

ونؤلم روحي الهائمة فوق

أوتار الحياة

العازفة للحن الموت

والخسارة

دائماً . . .

أبحث عن قلب مزركشاً بالحب

وعطرُ الحياة

وأزهارها

لتُعبأ أنفاسي

بالفرح

لكن الأزهار رمتها الريح

بعيداً

وارتمى العطر على الدروب

تفقد رائحة شمتها

قلوب الناس

النبيلة

النادرة.......

- أجل ... إن كياني يرتعش

بحُب الحياة

وكل لحظة فيها

لكن معهم

يتمنى الموت

للخلاص من كل

ما حوله

عام ١٩٦١

لا ... تسأل عن السوسن

ـ تسألني عن السوسن ... وعن أغنية

ابتلعتها عاصفة الشتاء

ولفها الموت

بأصابعه القاسية

ـ تسألني عن سوسنة أحرقها

صيف هذا الوجود

وبدد عطرها

بين سطور الأماني

ـ تسألني عن آلهة حطمتها

يد الشياطين

العابثة

بكل جمال وقيم مرسومة

على جبيني

ـ تسألني ولن أجيبك

سأُخرس كلماتي

وأجر بقاياي

ـ أجر خيبتي . . . التي لا تنتهي

وأماني

وأدفن دموعي

بداخلي المحترق

أدفن أغنيات الأمل

المنهار

بفؤوس الغدر

والكراهية

. أمضي مع الجميع . . . أركض معهم

لأبتعد مثلهم

عن واقع حزين نحياه

بكل ألم

والسبب دروب المدينة

المروية بالفساد

والمعتقة بالغبار والبقايا

نحن غُرباء هنا ...

لماذا ... لأننا أنقياء الروح

كرعشة ماء الينبوع

تحت ضوء القمر

مثل قطع فضة متناثرة

نحن غرباء عن هذه الأرض

رغم ولادتنا فيها

أخيراً سنرحل

ونمضي

وقد تلقانا ريح الجنوب

لنزرع من جديد

ونحرث أرضاً

فيها بذور

لربما تحتوي الطيب

والجمال

الذي نحمله مع الأحلام

التي نحياها

. سنمضي إلى حيث الانتماء

ومحبة الآخرين

وضحكات العمر

وابتسامات شفاه

صادقة

وألحان غير مزيفة

حيث النبل

المفقود

هنا

والحبّ الراحل دائماً

بهمسة حاسد

ـ أجل الحقيقة

فمعرفة عمق الحياة

مرارة تجرح القلب

وتبتر الأحلام وتطفأ

أضواء الأمل

لقد تعبت . . . وأنا أبحث عن دروب

نظيفة . . . مليئة بالزهور والعِطر والعيون

الهانئة

تعبت . . . وظللت طريقي وشُلَّت خطواتي

وأضناني الأمل الضائع

لكني . . . لا زلت أبحث عن الينابيع

الصافية المغداقة وعن

طرقات معبأة

بالعبق . . .

والمساءات الرائعة

لكني ... هُنا أدوس

على الأقذار

التي تغرق دروب

مدينتنا

وأسبح في غُبار

لا نهاية له

ورغم مرارة أيامي

وشحوبها ... سوف أمضي

كتبت عام ١٩٦٣

من القلب . . .

أخي . . .يا شراع زورقي الحالم

بضفاف القمر

البعيدة

يا قطرات دمٍ خاشعة

امتزجت مع نبض

عروقي

يا سطراً من نورٍ يُكلل

حياتي

بالحنان والرحمة

ـ أيها القلب المتوج بالإخلاص

والتضحية

أناديك . . .

أنتَ أخي

ولكن هل

ستسمع نداء قلبي

وهل ستلمس مدى

صرخات روحي التي تنبض بصفاء

ما بداخلي

وما يحتويه ضميري

إنك رعشة الوجدان

في خاطري

فهلاّ . . .

تسمعني يا أخي

كتبت عام ١٩٦١

أغنية .. ما ..

لنزرع دموعنا في دروب الريح

والمطر

لندع هذه الفؤوس

فقد مللنا الغابة

والفقر والحاجة

لنبحر إلى جزر مجهولة

معطرة

حيث أكواخ القمر

وجدائل نوره

المنثورة

فوق الدنيا

حيث الحب الذي أتمنى

وأغنيات ملائكية

لا تنتهي

عام ١٩٦٥

النهاية

- حياة جديدة بعد نهاية

ونهدة قديمة

تمضي

وأخرى كبيرة

تحيا من جديد

في صدري

هذه الحياة مفروضة

علينا

لا حُكم عليها ولا فيها

فأحلام تُدفن

وألحان ملائكية

تموت

. شباب يذبل وربيع يتوارى

هارباً

من حقيقة المطر

والسحب الضائعة

أبحث دائماً

عن الحقيقة وعن الخلود والبقاء

ولكن؟

الكل معذّب وضائع

وسِتار القدر الخفي

يُغطي كل جمال

حولنا

. فدع أحلامك دعها

إنها لا تجدي

وتلَّمس واقعك

المرّ

وابكي معي فلا شيء

يُفرح

فالفرح هُنا مُحرّم

لأن قلوب الجميع

يحتويها صدأ

متعفن

قديم بلا

مبرر

الفرح مُحرّم وصناعة التعاسة

لدينا حرفة والدناءات

هي عادات

فلا بد من الحزن

أو التسبب فيه

فالعمر . . . بلا حزن

لن يكون له رعشة

الخشوع

أمام القدر العنيد

لكني . . . أمضي باكية

ما دام في خاطري

ثورة على عقول

متفسخة

من حولي

مكبلة بأفكار

سوداء

حاقدة

وبالية

دون حكمة ولا عقل

دون تعمق ومعرفة

والتي لا فائدة منها

إلا سحق الروح

وحزن مضنى

لكل قلوب

العذارى

كتبت عام ١٩٦٥

أقحوانة

ـ حتى اليوم لا زلت فارغة

يا صفحاتي العتيقة

ومنذ سنين لم يستطع أحد

أن يعلم سر ذاتك

لقد خطا الليل وطوت الأيام

أقحوانتي البيضاء

قهراً

ـ ماذا أكتب يا أيامي . . .يا أنشودة الحياة

المحترقة بالأحزان

آهٍ يا أقحوانتي البيضاء النقية

فقد نسجت لك من ريش

العصافير

مناديلاً وشالاً

أرجواني

وغزلت من أعشاش

الطيور

سلالاً ناعمة لأجلك

. أقحوانتي الرائعة ها أنت تذبلين

وتدوسك الأيام

وترحل أحلامك

مع الريح

أجل . . . لأنك لم تكوني إلا

أغنية سراب

رددتها روحي

الهائمة عبر

المساءات

الرمادية

- أقحوانتي . . . لم تعد الأفراح تزور قلبي المضنى

فالآلام حطمت ما بنيته

وقطرات المطر تعبر خيامي

كل يوم

وجسدي الصغير يعدو عبر المدى

هارباً يبحث عن أزهار

وكوخ . . . أجل أجل

يا زهرتي الرائعة

فبعد تمزق الشراع

الأزرق

وهدم أحلامي

قد أعود لعزف قيثارتي

والسير تحت مطر الربيع

وقطف زهور من الروابي

التي قد تتفتح

يوماً

لا . . . . .

. سأتوارى مرة أخرى

خلف التل البعيد

أحمل أحزاني

وأدفن عمري

وأصنعُ من حطامي

قارب حلماً آخر

يحلم بالنور والضياء

وبعض من وفاء

ماذا ؟!

يا صغيرتي الذابلة

هل سيأتي . . يوم

تظهر الشمس

فيه ويعبر

الفرح أعماقك

ـ أقحوانتي . . .

لا زلتِ بين طيات دفاتري

أحفظك من برد الشتاء

أحفظك

لأن الصيف رحل

ولن يعود

عام ١٩٦٥

يا رب

ـ يا رب . . . سأسجد في معبدك

طيلة عمري

أصلي لأجلك

لأني معك . . . أشعر

بالسعادة المُثلى

التي لا يعرفها أحد

لأني معك . . .

أتلمس حلاوة

رضاك

يا إلهي . . . إن عينيَّ مملوءة

بالدموع دائماً

وقلبي يحترق خشوعاً

وأعماقي . . . رماداً

من الأحزان

على هذه الدنيا

ونفوس الناس

يا الله . . . .

منحتني الطُهر ونقاء الروح

والقلب

فامنحني . . . حفنة من أمل

وسعادة

فلا زلتُ . . . أتخبط في حُبِّ

الخيبة

. يا رب . . . عندما أموت لا تعذبني

في خروج الروح

دعها ترحل بهدوء

واطمئنان

دع الناس يفتحون باب

قلبي الموصد

طيلة حياتي

ليروا ما فيه

يا الله . . . إن أخطأت فسامحني

أعطني قوة رضاك

وإن اقتربت من الناس

ـ هَبني الصبر وتحمّل قهرهم

ـ وإن جذبتني الحياة لها مرة

وأغرقتني أضواءها

الساطعة

مرة

ـ فذكّرني أني سأموت

وإن قسوت فاجعل الحنان

يسكن عُمق روحي

يا رب . . . إن ضِعتْ

فأرشدني أنت

وإن كرهت الدنيا . . . فأحببني

بالموت

أيها الإله . . . عندما تتبعثر

أضواء القمر . . وأكواخه

الملتهبة بالوهج

بين أدغال الليل

الموحشة

. وعندما . . . يتلاشى النهار

وتعود رحلات الطيور

ونهرب من مصيرنا

وعندما لا نفهم كنه أنفسنا

وعندما يتمرد الشرور فينا

وعندما نموت ونرحل

دعني أفهم . . . أن السمو

في الروح

وأن الجسد راحل

دعني يا إلهي

أصلي لك

طول عمري

من هذا البيت

القديم

أناديك

كتبت عام ١٩٦٢

دعني أبكي

- دعني أبكي دون حساب

دعني أبيع عمري للدموع

دعني أجمع الورود

وأحفظها بين

طيات الورق

- دعني أقفل بابي وأموت

فقلبي لم يعد يحتمل

كره الآخرين

- دعني أترك العالم وأهجره

علّي أجد روحاً

أخرى

تفرح

- دعني أبحث عن مجهول؟

لا أعرفه

وأمزق كابوس الرعب

الذي اسمه الأسى

ووجع حياتي

- ولأضيع في دروب لا يعرفها أحد

كي لا تبحث يوماً عني

. دعني أمزق أوراقي وأحرق

حكاياتي

الجميلة

. فعيون الناس لم تعد ترى

الجمال

ولا تفهم الطلاسم الخفية

خلف ثنايا الرسوم

. دعني أهجر أحرفي وأوتاري

وأنفاسي

لأن كل الآذان لا تسمعني

. دعني أذهب إلى عالم آخر يفهمني

وأبتعد عن هؤلاء

الذين فقدوا إنسانيتهم

وصدق الروح وحب الحياة

- دعني منسية من فكرك

- فأنا . . . لا أريد أن يبقى لي

ذكرى في قلبك

فلا تسل عني

لأن قلبي ممزق

وغارق بالأرق

- بلا أمل أمضي

ببطئ السلحفاة

منبوذة رغم طيبي ومحبتي

لكل من حولي

إنهم لا يعرفون إلا العيون الجوفاء

الفارغة

والمغمورة بالغبار

وكأني بينهم أعزف أغنية خرساء

في غابة بعيدة

لا تعرف الغناء

. ولكن من أنت؟ !

لا أحد أمامي

. سوى آلامي وعيون قديمة أحفظها في جعبة

ذكرياتي

آه . . . إنك هنا فوق الصفحة

حروف مبعثرة

وآهات

فأنت الصديق الذي لم يوجد بعد

فدعني أيها الطيف الغالي

ـ دعني أبكي واقعي . . .

وقدري المحتوم هذا

دعني أبكي

كتبت عام ١٩٦٣

اللوحة

ـ عندما رسم الله لوحة عمري

جعلها في متحف الأسى

والشقاء

ـ عندما رماها إلى المتفرجين

أطرَّها بالسواد

جعل الريشة المقدسة

لا تلونها بالسعادة

والفرح

ـ١٩٩ـ

ـ عندما أعطاني الرب زنبقة عمري

الربيعية

أمر الأرض أن ترميها فوق

دروب ضاعت منها

خطوات الأحبة

ـ عندما أهداني الرب عينيَّ

جعلها ينبوعاً

للدموع

نقيتان حتى تعذبهما ريح المساء

أجل . . . أنا أعرف

أن أغلب الزنابق الرائعة ما زالت تقبع في زوايا

الدروب المنسية

التي حملتها أمواج بحر ضاعت

منه الشواطئ

وتاهت فيه أشرعة

ضبابية

راحلة

هكذا تسير الأنهار في وديانها

فكثير منها يجري بين جبال

غريبة

وكثير ترتع في سهول

ملأى بالأزهار

ـ أجل عندما رسم الله الكون جعل

لوحته .. غريبة

وجعل مني في لوحته الزاوية

المحتم عليها أن تبقى

باكية

وأن تموت قهراً

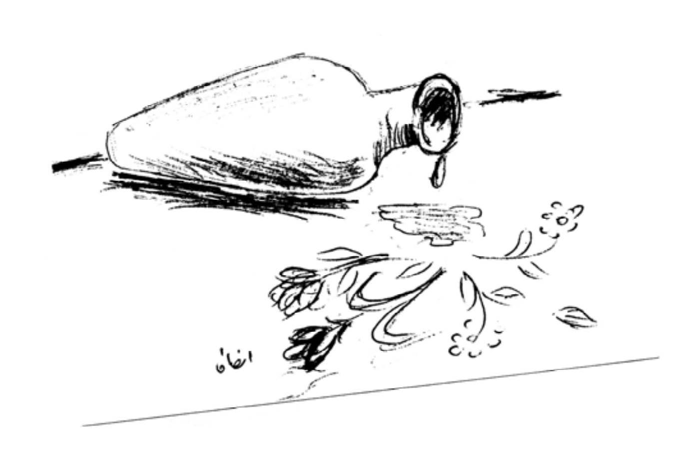
وجعلني أحمل الجرَّة من عين الماء البعيدة

حيث أصوات الطواحين ورائحة

السنابل والقمح

وهُناك أبقى ...

وحدي



وتُكسر الجرّة ويندلق

الماء

ويضيع جُهدي

وجنا عمري

المضنى

ـ عندما . . . وضع لي في لوحته خطاً

ملون

كان عليّ الصبر بأعصابي

وروحي وعواطفي

دون أن أظفر إلا

الخيبة والأسى

فكم صديقة جعلت من نفسي قنديلاً

يضيء دربها

. وصنعت من خيامي مأوى لها

وكم عيون رسمت

لعيونها بريقاً

لامعاً

رغم أن عيوني عمياء

هكذا جعلت من نفسي قنديل

مساء أضيء

درب من حولي

كأني صوت عصفور

أواسي الجميع وأفرح

الجميع

لكن لا أحد يفهم

كُنه صُداحي

إن كان فيه ألماً

أو مملوءً بالفرح

ـ تلك هي ريشة الرب المقدسة

التي لونت اللوحة

فأبحثُ ولا أجد وأضيع

ولا ألاقي

ـ وأحيا دون أن أرى

نور الحياة

وبهجتها

. فروابي نفسي هجرها الربيع وينابيع

الفرح رحلت

عن عيوني

وأيامي ترتدي كل يوم ثوباً

شاحباً أكثر

تلك هي إرادة السماء في رسم اللوحة

الغريبة

وكأنها موناليزا المتفرجين فهي صدى

أعماق كل فكر من النفوس

الناظرة أليها

ـ آهٍ يا قدري عليَّ أن أظل هُنا فقد حُتِّم

أن أكون كما شاء رسام اللوحة في زاوية

القهر

مرسومة بريشة الأسى والنسيان

مهملة متألمة

كتبت عام ١٩٦٢

أقداري

ـ الفجر النازف لآخر قطرة من ضيائه

بدأ يتلاشى

خلف نسائم النهار القادم

آهٍ أيها القدر الآتي بظلمة الليل

وشحوبه المتألم

أتمنى أن تحملني جدائل الضياء

وحبال الليل

بعيداً عن هذا

الكوخ

وهذه الدروب لأبتعد

عن هُنا

حيث أخيّم على سواحل الفرح

ملائكية المآقي

هانئة البسمات

هُناك عند شفق مبتهج

يحيا كل يوم في قلبي

. قد أحاول هجر خيامي لأبحث عن أخرى لا تنبذني

أفتش عن قلب ينبض بالحياة ونورها

. أهجر خيامي لأرحل إلى مكان لا تدنسه



غطرسة المكر والحيلة

ولم يتشوه بعد

ـ لا زالت سماؤه كما خلقها الله

رائعة

وقمراً صافياً مضيئاً

عليّ أجد يوماً أرضاً طاهرة

فيها قُدسية ونقاء

عليّ أجد عيوناً تواسيني

لا تعرف الكذب والمواربة

سأبحث ما دمت أحيا

لأن الشموع لن تُطفأ

على دروب الخير

والعطاء

كتبت عام ١٩٦٠

مشردة

ـ تحت قطرات المطر . . التي تنقر بابي

مثل صفار النورس

المهاجر

وعلى بساط الصقيع

بتمتمات

من شفاه مرتجفة

ـ أدعوه . . . الله أن أرى الشمس

المذهبة

وعذراء الوجود الخالدة

وشعاعها المنبعث مثل

شلة نحاسية

تغمر الكون

ليتني أرى قبساً من إشراقة

الشمس الرائعة

لأمسكه وأتحدث معه عن برودة

أيامي

فمتى يا نور الشمس أضمك

إلى صدري المتجمد

كي تدفء روحي

وتكوني يا شمس النهار الرائعة

دفء الحياة

وجناح أطير به إلى بلاد مترنمة

بربيع أخضر وزهور

وأعناب وشجر

رمان

وياسمين

وأقحوان

إلى جداول نقية براقة

بالفرح

تتكسر موجاتها الزجاجية

فوق صخور الشلال

المنحدر

كضفائر حسناء موشاة بعقود

من ماس . . شرائطها مفضفضة

الحواشي

آهٍ . . . لو أني أهرب

من هنا حيث لا زلت أرتجف

والصقيع والريح تقتل ذاتي

الهائمة كل لحظة

ليتني أهرب إلى بلاد الشفق الملون

بصلوات تقترب من الله

وتتعالى إليه بنور النقاء

وخشوع المحبة الصادقة

. تواقة روحي لذلك النهار حيث يذوب

الثلج وتنحني الأغنيات تحمل ألحان

الماضي

تحملها ريح تعصف

ومطر يفرق

بين حجارة

الرحيل

كتبت عام ١٩٥٩





قيثارتي

عام ١٩٦٠

ـ قيثارة الحب والأحزان . . اعزفي موسيقاك

فشدوك جَذَل المحبين

وابتسامة شمس نهار

مضنى وَعر . . . التلال

فنغماتك التي تبقى في وجود

لا يفنى

أنت ربيع الكون وروعة

الحياة والحب

ألحانك الشجية تمسح

جراح التائهين

تبقين النقية

تعطين . .

الفرح والأمل

لكل عين ضاعت منها

رعشة الحياة

وتاهت خطوات . .

الفرح

تبقين اللحن والقصيدة . . .

- وأغنية لكل نجمة ترصع سماء

الكون

- آهٍ. . . قيثارتي اعزفي اللحن

الحزين

ليبكي الجميع ويعتصر

حكاياه

تائهاً خلف مستحيل

لا يتحقق

- قيثارتي قصة جراحك خالدة

باقية

فاعزفي أغنياتي المتألمة

وأسمعيها للدنيا

فههنا لا زلت أتفيأ

ظل .. قمر يموت

وشمس

تحيا

كتبت عام ١٩٦٠



قصري المهجور

- قصري . . . أناديك ويرد الصدى

أنا هُنا

أعزف وأغني مع

الأطيار

لحناً شجياً

جميلاً

ولكن من أنا ؟ !

أنا ابنة الآلام والفلة التائهة والتي

ترفض أن يشوهها

غبار العالم

أنا الزهر النابت من صخر البركان

وبقطرات المطر النقية

أنا من تراب الطهر المدفون

عند القمم الثلجية

العالية

ـ آهٍ . . . يا قصري الباكي بكاء صامت

بحرارة الشحوب

الذي يلفك

وحطام القِدم وردائك

الرث

على مر الأيام

ونوافذك مثل عيون

جاحظة

سوداء تحدق

بأسى

إن أحجارك العتيقة

المتصالبة

تحكي حكاية الأيدي

التي بنتك

يوماً

ورحلت بصمت

أنت تعرف حكاياهم . . .

وتتحسس دموعهم

لكنك صامت

وها أنت لا تسمع ندائي

وصدى صراخي

فأين وقع أقدامهم

أين عطر العذارى

والأميرات

والعيون التي ارتسمت

فوق جدرانك

ونوافذك

وأين خطاهم التي

ارتسمت فوق

عتبات أبوابك

تحمل أحلامهم وخطاياهم

يا قصري المهجور إنك لحن شجي

هادئ يهز القلب

والروح

كتبت عام ١٩٥٩

الفهرس